المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية – جامعة سيدي بلعباس
ISNN : 2170-0060 EISSN : 2602-523X
المجلد 16 -- العدد 01 -- جوان 2024 ص 34 - 57

أهمية الأنهار في تدبير المجال الحربي بالأندلس (92-422هـ/711-1030م)

The importance of rivers in managing the war field in Andalusia (92-422 AH / 711-1030 AD)

بن يوسف الحاج – طالب دكتوراه (hadjbenyoucef@gmail.com)	تاريخ وحضارة الغرب الإسلامي في العصر الوسيط	جامعة جيلالي ليابس – سيدي بلعباس/ الجزائر
قاسمي بختاوي – أستاذ محاضر(أ) (kasmi196527@yahoo.fr)	تاريخ وسيط	جامعة جيلالي ليابس – سيدي بلعباس/ الجزائر

DOI :

الإرسال: 2023/03/30 **القبول**: 2024/06/02 **النشر**: 2024/06/25

الملخص:

تتجلى العلاقة بين الأنهار والمجال الحربي للأندلس في الفترة المعنية بالدراسة من خلال الربط بين البعدين الطبيعي والبشري، عبر مستويات كأن يُتخير موقع النزول والتعسكُر وهو ما يجب على القائد القيام به، وأيضاً من خلال إدراك الأهمية الحربية للأنهار في التحصين والتزود بالمياه وتوظيفها كمسالك وطرق للتقدم والتوسع.

لذا حاولنا من خلال هذه الورقة البحثية البحث في هذه العلاقة (الأنهار والحرب) برصد موقع الأنهار في المخططات الحربية لقادة الجيوش في الأندلس متبعاً أسلوب المقارنة ومعتمداً في ذلك على بعض المصادر الأندلسية، حيث تمّ إسقاط المادة الخبرية على جغرافية بلاد الأندلس وربطها بالعوامل الطبيعية.

وقد توصلنا إلى مدى إدراك قادة الجيوش الأندلسية لأهمية الأنهار في المجال الحربي من الناحية العسكرية باعتبارها موانع طبيعية تقف في وجه القوات المهاجمة وتسهم في توفير حصانة للمدن المحيطة بها، حيث تنوعت أساليب استخدام الأنهار واستثمارها وتوظيفها ضمن خططهم العسكرية.

كلمات مفتاحية: الأنهار؛ المجال الحربي؛ الموانع المائية؛ التحصين؛ التخطيط.

Abstract:

The relationship between the rivers and the military field of Andalusia in the period concerned with the study is evident through the link between the natural and human dimensions, through levels such as choosing the location of disembarkation and encampment, which is what the commander must do, and also through realizing the

military importance of rivers in fortification and water supply and their employment as pathways and methods for progress and expansion .

Therefore, we tried through this research paper to investigate this relationship (rivers and war) by monitoring the location of rivers in the military plans of the armies commanders in Andalusia, following the method of comparison and relying on some Andalusian sources, where the news material was projected on the geography of Andalusia and linked to natural factors.

We have reached the extent to which the leaders of the Andalusian armies are aware of the importance of rivers in the field of war from a military point of view, as natural barriers that stand in the way of the attacking forces and contribute to providing immunity for the surrounding cities, as the methods of using rivers, investing and employing them within their military plans varied.

Keywords: rivers; war field; water barriers; immunization; planning.

مقدمـــة:

ما من شك أن دراسة الأرض والتعرف على معالمها وطرقها يعد أساس التخطيط للمعركة وبدونها يصبح قائد المعركة أسيرا للمجهول ونذكر في هذا المجال قول خالد بن الوليد إلى عمرو بن عبد المسيح "قتلت أرض جاهلها، وقتل أرضاً عالمها" (النويري، 1976، صفحة 213) (ابن عبد ربه، 1983، صفحة 46) (ابن كثير، 1997، صفحة 118) (الطبري، 1967، صفحة 363)

ولذلك فإن تحليل الظروف الجغرافية المحيطة وطبيعة تكوين الأرض يعدّ أمراً أساسياً لتبيان العوامل التي ستساعد أو تحدّ من حركة الجيش (المياح، 1969، الصفحات 102 - 103)، كما أنه ليس بالإمكان الفصل بين العمليات العسكرية وظروف البيئة طبيعية كانت أم بشرية (ذياب، 2012، صفحة 20). وكأحد العوامل الجغرافية الأنهار فإن الأندلس تتوفر على شبكة هامة منها ويتضح ذلك من خلال قول الرازي: "بلد الأندلس عند الحكماء بلد كريم البقعة، خصب الجناب، منبجس الأنهار الغزار والعيون العذاب ..." (المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، 1419هـ / 1998م، صفحة 120).

كما يصف أيضا طبيعة بلاد الأندلس قائلا: "الأندلس أندلسان في اختلاف هبوب أرياحها ومواقع أمطارها وجريان أنهارها: أندلس غربي، وأندلس شرقي، فالغربي منهما ما جرت

أوديته إلى البحر المحيط الغربي، وتمطر بالرياح الغربية ... (المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، 1419هـ/ 1998م، صفحة 122)، والحوز الشرقي المعروف بالأندلس الأقصى، وتجري أوديته إلى الشرق، وأمطاره بالريح الشرقية". وهكذا يتبين أن القسم الشرقي من الأندلس يمطر بالريح الشرقية، والقسم الغربي يمطر بالريح الغربية.

ويقول ابن خرذابه في كتاب المسالك والممالك: "... إن الأندلس شامية، وهي بلد كريم البقعة، طيب التربة، خصيب الجنات، تنفجر بالأنهار والعيون العذبة ..." (مجهول، جغرافية وتاريخ الأندلس، 2013، صفحة 54)، أما الزهري فيقول:" وبلاد الأندلس حسنة الهواء طيبة الماء طولها أربعون يوماً. يشقها أربعون نهراً. لا يوجد هذه في معمور الأرض إلا فيها ... ومن بركتها أنه لا يمشي الإنسان فيها فرسخين دون ماء ..." (الزهري، د ت، صفحة 80).

ومن خلال هذه النماذج الجغرافية يتضح لنا أن الأنهار تكثر في الأندلس بشكل واضح وهو ما يعني أنها ستلعب دورا حاسما في العمليات العسكرية لأن من سيطر على النهر سيطر على المعركة.

انطلاقاً مما سبق ومن خلال هذه الورقة البحثية سأحاول الإجابة على بعض التساؤلات، وهي على النحو الآتي: هل كان للأنهار أهمية في معارك وحروب الأندلس في الفترة المعنية بالدراسة؟ وهل عمل قادة الجيوش على استثمارها وتوظيفها في خططهم الحربية؟ ما أثر الأنهار في النصر أو الهزيمة في المعارك التي خاضتها الجيوش الإسلامية في الأندلس؟ إلى أي مدى شكلت الأنهار عوائق حدّت من حركة الجيوش الإسلامية؟ وكيف تم التغلب على هذه الموانع المائية؟

سأجيب عن هذه التساؤلات متبعا أسلوب التحليل والمقارنة والاستقراء

تمهيد:

يعد اختيار الموقع من أهم العناصر الإستراتيجية لتحقيق النصر، فبقدر توفيق القائد ومهاراته في اختيار أصلح المواقع التي تدور عليها المعركة بقدر ما تكون رهانات النجاح

كبيرة، لأن الموقع يضمن سلامة الجيش وتنفيذ رهانات الخطة (زغروت، 2005، صفحة 234).

ويحث الطرطوشي على اختيار الموقع والتموقع فيه أن يكون استراتيجياً ومرتفعاً حتى يرى الجيش والمعركة في الجهات الأربع، واقتبس ذلك من خلال سرد معارك المنصور بن أبي عامر خلال دراسته وتتلمذه عند أبا الوليد الباجي. (الطرطوشي، 1994، صفحة 687)

ويؤكد هذه النظرة كذلك عبد الرحمن الشيرازي، حيث يقول: "أن يتخير لهم موضع نزولهم لمحاربة عدوهم فيقصد أوطأ الأرض مكاناً وأكثرها مرعى وماء وأكثرها سعة وأن يكون الموضع سالماً من جبل أو شجر" (الشيرازي، 2002، صفحة 167)، ويشاركهم في هذه النظرة كذلك الحسن بن عبد الله الذي يقول: "يجب على الملك قبل الحرب الفحص على الأرض ومكامنها وحفائرها ومحايضها وطرقها ومناهلها ومعاطشها ليكون على بصيرة لمن معه" (العباسي، 1989، صفحة 331).

ويتضح لنا مما سبق أن الماء مادة استراتيجية في معادلة الحرب وتتوقف عليها لأنها عنصر هام في كسب المعركة لذلك شكلت المياه ورقة ضغط ضد الخصم حيث تلجأ الجيوش إلى حرمان الساكنة أو الخصم المتمرد خاصة وأن أغلب مصادر المياه توجد خارج الأسوار. وهو ما سنوضحه فيما يلي:

1. ضفاف الأودية والأنهار مسرح للمواجهات العسكرية:

يحذر الصيرفي القيادة العسكرية من القتال خلف الأنهار غير المحروسة أثناء الصدام مع العدو لأن ذلك يؤدي إلى توقعات غير سارة وغير منتظرة لذلك يحبذ القتال أمام النهر لأنه مكشوف ومن سيطر على النهر سيطر على المعركة، لأن الماء عنصر هام في معادلة الحرب (حرب المياه) (سويد، 2010، الصفحات 193-204) (ابن عذارى، د ت، صفحة 68) (بولعراس، 2018، صفحة 84).

من خلال تتبعنا للمادة الخبرية في المصادر الأندلسية يمكن التركيز على نماذج من معارك الأندلس نخص بالذكر منها:

أ. معركة وادي لكّة على نهر برباط:

استكشف طارق المنطقة ليختار مكانا يحدده هو للقاء العدو الزاحف ملائما لقلة عدد جنده وكثرة الأعداء، فاختار قرب الوادي "برباط".

لذلك سارع بإحكام سيطرته على نهر برباط في وادي لكّة، كونه يخترق بحيرة لاخندا، ويصب في المحيط الاطلسي، ولا شك أن هذا النهر، أحد العوامل الجغرافية التي ساعدت العرب على الانتصار، فهو بمثابة حاجز طبيعي يحول بينهم وبين القوط (ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 1983، صفحة 08) فهنالك رواية مفادها، أن لوذريق حاول الهرب بعدما هزم في هذه المعركة، فعبر نهر برباط، وواجهته أثناء العبور عدة معوقات، حتى التصق نعله بالطين، فتركه ومضى، فلما عثر عليه المسلمون ظنوا بأنه قتل (مجهول، فتح الأندلس، تح: تحقيق عبد القادر بوباية، ط1.، 2007، صفحة 19).

ولم يقف الوعي العسكري للقادة المسلمين عند هذا الحد، فقد حرصوا على اختيار المواقع المناسبة، القريبة من الأنهار، لتكون مكانا لتعسكر جيوشهم، فعندما سار موسى بن نصير من ماردة الى طليطلة، وقع اختياره على مكان بين هاتين المدينتين، يطلق عليه اسم المعرض (Almaraz)، ليكون نقطة التقائه بطارق بن زياد، ولا شك أن اختيار موسى لهذا الموضع، لا يخلو من بعد عسكري، فالمعسكر يقع بين نهري تاجه والتيتار (ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 1983، صفحة 16) (مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بها، تح: إبراهيم الأبياري، ط2.، 1989، صفحة 26).

واعتقد لوذريق أن موسى بن نصير أخطأ في اختياره لهذا الموقع، كونه بعيد عن مركز الخلافة، وأن الفرصة سانحة له للقضاء على المسلمين، لكن هذا الاعتقاد لم يكن في محله، فلم يلتفت لوذريق الى أهم مقومات المعسكر الجيد، وهو مصادر المياه، التي استغلها المسلمون لصالحهم لتكون إحدى عوامل انتصارهم على القوط في المعركة التي دارت بينهما سنة 94هـ/ 713م، وأطلق عليها معركة السواقي (سالم، 1981، صفحة 99) (حسين، 2008، صفحة 158) أو كما يسميها صاحب أخبار مجموعة (السواني) (مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بها، تح: إبراهيم الأبياري، ط2.، 1989، صفحة 19).

والجدير بالذكر أنّ القوط كانوا أضعاف المسلمين، وكان المسلمون يقاتلون في أرض العدو في هضاب ومفاوز شاقة، فكان اللقاء بين الجيشين في سهل الفرنتيرة (FRONTERA) على ضفاف نهر وادي لكة أو وادي بكّة. ففي هذا السهل الصغير الذي تحده من الجنوب سلسلة من التلال العالية، وعلى ضفاف بحيرة خندة ونهر بارباتي تلاقى العرب والقوط، وذلك في الثامن والعشرين من رمضان سنة 92 هـ / 17 جويلية سنة 711 م، وفرق النهر بين الجيشين مدى أيام ثلاثة شغلت بالمعارك البسيطة. وفي اليوم الرابع التحم الجيشان ونشبت بينهما معركة عامة، فلم يأت اليوم السابع من اللقاء حتى كان النصر لطارق وجنده، وهُزم القوط شر هزيمة أما ملك القوط فقد مات غريقاً (عنان، 1997، الصفحات 42-45).

وتصف المصادر التاريخية (المقري، 1968، الصفحات 233-243) (ابن الأثير، 1987، صفحة 269) هذه المعركة بأنها كانت معركة قاسية اقتتل فيها الطرفان قتالاً شديداً حتى ظنوا أنه الفناء، وأنه لم تكن بالمغرب مقتلة أعظم منها، وأن عظامهم بقيت في أرض المعركة دهراً طويلاً لم تذهب وكان النصر في النهاية حليف المسلمين.

ويوضح العبادي (العبادي، 1972، صفحة 279) بأن ما ورد في كتب التاريخ من تسميات مختلفة لهذه المعركة مثل: البحيرة، وادي لكة، وادي بكة، وادي البرباط، شريش، السواقي، ما هي في الواقع إلا تسميات لتلك الأماكن التي دارت وتشعبت عندها تلك المعركة الكبيرة في أراضي كورة شذونة.

ويؤكد لنا المؤرخ ابن القوطية عن نصر القائد طارق بقوله "وكان اجتماع طارق ولوذريق على وادي بكّة من شذونة فهزم الله روذريق" (ابن القوطية، 1989، صفحة 33).

وتحدث العذري وابن الكردبوس (ابن الكردبوس، 1971، صفحة 48) عن نهاية الملك لذريق وقال "وفرّ لذريق، فأدركه المسلمون في وادي الطين، فقُتل هو ومن معه، وقيل أنه غرق في النهر لأن المجاز كان وعراً، ووُجد خفه في النهر، وسار طارق إلى قرطبة.

تعد معركة البرباط من المعارك الفاصلة في التاريخ إذ انتهى بعدها الوجود السياسي للقوط في الأندلس، وغدا المسلمون يهددون قلب أوروبا لقد حشد لذريق كل قواه لمواجهة المسلمين، وأعلن النفير العام وطلب لُذريق من جميع الأشراف والنُبلاء والإقطاعيين أن يحشدوا

المُقاتلين، وأخذت الإمدادات تَرِدُ إليه من كل المناطق، حتى اجتمع لديه في وقت قصير ما بين أربعين إلى مائة ألف مقاتل (ابن خلدون، 1981، صفحة 117).

تقابل الجمعان يوم الأحد 28 رمضان 92هـ الموافق فيه 19 تمّوز (يوليو) 711م، واشتبكا في قتال عنيف استمر سبعة أيام. ولما تراءى الجيشان ثبت لذريق في مكانه وأطمع لُذريق في أن يقطع المستنقعات إليه، على غرار الخطة التي كان خالد بن الوليد قد رتبها على نهر اليرموك (الحبسي، 2017/2016، صفحة 165).

وأضحى لذريق لا يملك القوة الكافية للاستمرار في القتال، ومع ذلك فقد صمد حتى اليوم الثامن، وعندما تحقق من هزيمته، هرب من ميدان المعركة من دون أن يُعرف مصيره بالضبط، وقد وُجد فرسه بالقرب من إحدى المستنقعات، كما وُجد أحد خُفيه وهو طافٍ فوق الطين الأسود، مما يدل على أنه وقع عن حصانه لدى وصوله إلى المستنقع وغاص فيه من دون أن يتمكن من الخروج فغرق، ويذكر عدد من المؤرخين المحدثين أن لُذريق لم يُقتل في تلك المعركة، بل انسحب نحو الشمال، إلى ماردة، ثم إلى سلسلة جبال سلمنقة ليُعيد تنظيم صفوف قواته، وأنه قتل في المعركة الثانية مع المسلمين، التي واجه فيها جيش موسى بن نصير وطارق بن زياد في السواقي، على يد مروان بن موسى بن نصير، والمصادر الإسلامية لا تكرر ذكر لذريق بعد معركة وادي لكة (الصوفي، د ت، صفحة 110).

ب. معركة المصارة على ضفة نهر الوادي الكبير:

يحدثنا صاحب كتاب أخبار مجموعة عن هذه المعركة فيقول: "تناوش ابن معاوية ويوسف الفهري والنهر بينهما، فكان ماء النهر كثيرا لا سبيل إليه، ثم زاد حتى امتنعا، فأقام عليه انتظارا لنقصانه ... ثم لم يزالا يسيران حتى نزل يوسف من المصارة، ونزل ابن معاوية إلى بابش ... ونقص النهر يوم الخميس فاقتتلوا حتى ارتفعت الشمس" (مجهول م.، فتح الأندلس، تح: تحقيق عبد القادر بوباية، ط1.، 2007، الصفحات 82-83).

والجدير بالذكر أنّ اللقاء العسكري الحاسم حدث عند المصارة (العامري، 2014، صفحة 59) (ALMAZARA) على نهر الوادي الكبير (Guada Lqivir) (Álvarez، 2011)بقرطبة واتخذ كل من الوالي الفهري وجنده والثائر عبد الرحمن الأموي صفة أو جهة من النهر وقد تجمعت عند كل منهما أعداد من المتطوعين، فاقتتلا وتحاربا إلى أن هُزِم الفهري ودخل عبد

الرحمن قرطبة، وطاعت له الأندلس (ابن الكردبوس، 1971، صفحة 56)، حدثت معركة المصارة يوم الجمعة أول عيد الأضحى (138 هـ / 755 م) بعد انتظار 03 أيام لانخفاض منسوب مياه نهر الوادي الكبير بقرطبة.

ويذكر صاحب كتاب ذكر بلاد الأندلس أنّ "عبد الرحمان نزل ببايش على نهر قرطبة وخرج يوسف الفهري واضطرب محلته بالمصارة ... فأقاما ثلاثة أيام متناظرين والنهر بينهما يحمي حملة إجازاته فلما كان يوم الخميس التاسع من ذي الحجة أصبح النهر قد حسر مدة فعبر الامام عبد الرحمان كتائبه للحرب" (مجهول، 1983، صفحة 87).

ويذكر أحد الباحثين (عنان، 1997، صفحة 154) أنّ النهر فرّق بين الجيشين مدى ثلاثة أيّام، وفي اليوم الرابع هبط ماء النهر وانحسر في بعض المواضع، فتأهب الفريقان للحرب، ودفعا بقواتهما لاقتحام النهر، فنشبت بين الفريقين معركة عنيفة حتى مزقت خيل يوسف، وهزم جيشه هزيمة شديدة.

جـ. معركة قسطلونة:

وعن الرازي: أن هذه الوقيعة بمخاضة الفتح كانت يوم الأربعاء سنة 168هـ / 784م، بين (عبد الرحمان بن معاوية وابي الأسود محمد بن يوسف الفهري) بعد موافقة قبل ذلك أياما كثيرة. قال: وقُتل لأبي الأسود فيها أربعة آلاف من أصحابه، سوى من تردى في النهر، ووقع في المهاوي، وتلف في الشعاب وبلغ في هزيمته إلى قسطلونة على وادي الأحمر (طعمة، 2015، صفحة 96).

يقول حسين مؤنس: "ليس من السهل تحديد موقع هذه المعركة بدقة، لأن قسطلونة المذكورة هنا كانت قرية تسمى كازالونا الى جوار بلدة لينارس الواقعة شمال جيان. ونهر الوادي الأحمر المذكور هو المعروف باسم قواداليمار نهير من نهيرات الوادي الكبير، وينبع من جبال شقورة. وهذا النهر يتكون من نهيرات صغيرة تمتلئ بالماء بعد المطر وتصبح مخاضات، فلا بد أن مخاضة الفتح المذكورة هنا كانت في ذلك الموقع. ويفهم من النص بعد ذلك ان المعركة كانت عند المخاضة، ثم هرب أبو الأسود إلى قسطلونة (الأبار، 1963، صفحة 352).

ويذكر ابن الأبار أنّ: " أبو الأسود سار في عسكر جحفل حتى حل بأحواز جيان فخرج اليه عبد الرحمان بن معاوية في جيوشه فلاقاه مرة بعد مرة، يهزمه في كل منها ويقتل له الجمع الكبير" (الأبار، 1963، صفحة 351).

د. معركة حصن غرماج على نهر دويرة:

قال ابن عذارى في أوائل ذي القعدة عام 210 هـ/ 816 م أرسل الحكم عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث إلى بلاد المشركين فدخلها وتوسطها وأهلك معاشها ومرافقتها ومعظم زرعها وهدم منازلها وحصونها حتى استوفى جميع قرى وادي أرون فتداعى المشركون لقتال المسلمين ونزلوا بعدوة نهر آرون وأصبح حاجزاً بينهم (ابن عذارى، د ت، صفحة 172)، حاول الفرنجة استدراج المسلمين، ليقتحموا النهر ولكن قائد المسلمين المجرب العارف طلب من جنده التشبث بمواقعهم وعدم التحرك مطلقاً وكانت هذه حيلة وخديعة للمشركين الذين توهموا خشية المسلمين منهم وعدم مقدرتهم على قتالهم فدفعهم الغرور إلى اقتحام النهر لقتال المسلمين فاستقبلهم جند الإسلام الذين أخذوا مواقعهم وتحضروا لأعداء الله بناءً على طلب قائدهم ثم حملوا عليهم حملة واحدة حتى أضغطوهم إلى المضايق والحفر وكانت هذه حيلة أخرى حيث لم يتمكن أعداء الله من القتال في تلك الأماكن الضيقة فأثخنوا فيهم القتل بالسيوف والرماح والدرس بالخيول والغرق في المياه والتردي في الحفر فقتل منهم ما لا يعد ولا يحصى (المقري، 1968، صفحة 339) (ابن الأثير، 1987، صفحة 369).

وقد أرَّخ ابن حيان لهذه الواقعة قائلاً: "ووافت الأخبار من العسكر بتلاقي حراس المسلمين والمشركين على شفير وادي دويرة (مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تحقيق وترجمة: لويس مولينا، ج1، 1983، الصفحات 48 - 49) يوم السبت لسبع خلون من رمضان، ثم استطرد المسلمون لمن تشوف إليهم من المشركين، حتى اجتاز إليهم عدد عظيم منهم خالطوهم، فنزل بينهم قتال شديد وراء النهر حميت منه نفوس المسلمين فجلدوهم القتال، وهم أقل عدداً منهم، وعاركوهم ملياً، فاكتفوا بهم ونالوا منهم. واتصلت بالوزير القائد غالب هذه الناشبة وهو بمجلسه فأنكرها، وركب من فوره فيمن خفّ من رجاله وأوفى عليهم فزلزل الله بالمشركين، وولوا مقتحمين النهر والسيوق آخذة مأخذها من نحور الكفرة وظهورهم، فأثخن القتل فيهم ولم ينج منهم غير من ابتدر الترامي فيه" (ابن حيان، 1965، صفحة 227).

هـ. معركة الخندق على نهر إبرة:

في عام 251هـ / 865م قاد عبد الرحمن بن الأمير محمد قوة الصائفة ووصل بها حتى نهر دويرة و نجح في الاستيلاء على الحصون والقلاع وأزال المقاومة وأرغمها على ترك مواقعها وتوقفت قوات المسلمين أمام الخندق - الذي أمر رودريك (ملك جليقية) بحفره - و أصدر قائد الجيش أوامره بإقامة معسكر للمسلمين و في الوقت ذاته شن الغارات لردم الخندق و تسوية المواقع و إزالة العقبات و قد نظم قائد الجيش هجوما حاسما استطاع أن يمزق به قوات خصمه حيث طارد المسلمون قوات جيش رودريك حتى الأهزون، واقتحموا عليهم نهر إبرة (ابن عذارى، د ت، صفحة 149) فألقى عدد كبير منهم أنفسهم بالنهر وماتوا غرقاً (العسلي، 1988، صفحة 429).

ونخلص مما سبق أنّ قادة الجيوش الأندلسية أدركوا أهمية الأنهار، من الناحية العسكرية باعتبارها موانع طبيعية من الدرجة الأولى، تقف في وجه القوات المهاجمة وتسهم في توفير حصانة للمدن المحيطة بها.

2. الأنهار والتحصين:

ورد ببعض المصادر الجغرافية التي تتحدث عن مواقع المدن وصفاتها الحسنة أن "أحسن مواضع المدن أن تجمع بين خمسة أشياء، أولها النهر الجاري" (عثمان، 1978، صفحة 96). وقال ابن خلدون: "أما جلب المنافع والمرافق للبلد فيراعى فيه أمور: منها الماء، بأن يكون البلد على نهر" (الأزرق، 2008، صفحة 701)، فالمدن الحربية هدفها الأول هو الحماية، فقد جعلها ابن خلدون "إما على هضبة متوعرة من الجبل، وإما استدارة بحر أو نهر بها" (خلدون، 2005، صفحة 323).

لذا كان يتم اختيار أصعب موقع طبيعي بحيث تتوفر فيه:" المنعة والسلامة والحماية، واليسر والنفع والرخاء" (مصطفى، 1992، صفحة 65).

والجدير بالذكر أن المدن قد بنيت على ضفاف الأنهار لكي تستمد منه المدينة هذا العنصر الحيوي للإنسان، وهنا لابد أن تمتد الأسوار إلى أسفل ضفة النهر أو الجدول المائي بغرض تسهيل تزويدها بالماء في حالة الحصار ولتعبئة خزانات المياه في داخل المدن (بالباس، 2003، صفحة 186). لذلك كانت المدن الأندلسية – سواء القديمة منها أم التي أحدثها المسلمون – تقع على مورد ماء أو بمقربة منه.

ويظهر هذا جلياً في أن المسلمين بالأندلس قاموا بإنشاء مدن هامة على وديان الأنهار، كانت بمثابة قواعد عسكرية وخطوط دفاعية، فقد كانت متحكمة في أماكن اقتراب العدو وتكون عادة محصنة بثنيات الأنهار ومنعطفات الجبال أو بالخنادق والأسوار (الرؤوف، 1997، صفحة 244) كمدينة سرقسطة (الحموي، 1995، صفحة 212)، التي اتخذت مركزا للخط الدفاعي الأول في الشمال، وهو نهر الأبرو (البكري، 1968، صفحة 57)، لذلك سميت هذه المدينة بالثغر الأعلى، كما اتخذت مدينة طليطلة (الحموي، 1995، صفحة 39)، مركزا للخط الدفاعي الثاني، وهو نهر التاجو (البكري، 1968، صفحة 87)، لذلك سميت هذه المدينة بالثغر الأدنى (العبادي، د ت، صفحة 19).

كما إتخذ الوالي عبد الرحمن الغافقي في ولايته الثانية 114هـ/ 732م، من مدينة أرل، الواقعة على مصب نهر ردونة (أرسلان، 1933، صفحة 53)، قاعدة له، وأرسل منها الجيوش لفتح مدن أقليم أكتانيا، واستطاع نشر قواته على الضفة اليسرى لنهر اللوار، فحشد الدوق أودو جيشا، والتقى مع المسلمين على ضفاف نهر دوردني، أحد روافد نهر الجارون، كان النصر حليف المسلمين (سالم، 1981، صفحة 142) ويروي المقري، أن المسلمين في عهد الوالي عقبة بن حجاج السلولي، كان رباطهم ومعسكرهم على نهر ردونة (المقري، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، 1968، صفحة 19).

ومن نماذج المدن التي بنيت على ضفاف الأنهار نذكر ما يلي:

- **مدينة طليطلة:** عاصمة الثغر الأدنى مبنية على قمة صخرية، وهي من "أعظم مدن الأندلس وأشدها مناعة" (ابن حوقل، 1992، صفحة 106)، وحصانة (الإدريسي، 2006، صفحة 275) (الحميري، 1980، صفحة 393)؛ ومما زاد في مناعتها نهر التاجه "الذي يحيط بالمدينة من ثلاث جهات، ويشق النهر في هذا الموضع واديا عميقا فمن ثم كانت أهميتها الإستراتيجية" (وردة العابد، 2008/2007، صفحة 45)؛ فيتعذر الدخول إليها إلا من جهة الشمال، حيث " فتح في هذا الصور الشمالي بابان أحدهما شرقي ويُعرف بباب القنطرة لأنه يفضي إلى قنطرة وادي تاجه، وباب غربي يسمى بباب شاقة (سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، 1985، صفحة 54)؛ أما بقية الأعمال الواقعة على الهضبة والمحصورة بواسطة أنهار أو غدران تستعمل خنادق مثل وبذة مدريد مدينة سالم" (بالباس، 2003، صفحة 75)،

تعد مدنا عسكرية للدفاع والحماية وكذلك الحصار، فهي على هيئة معسكرات مجهزة لهجوم مدينة أخرى" (بالباس، 2003، صفحة 82).

- **مدينة سالم:** آخر نقطة حدودية وقاعدة انطلاق المسلمين والمواجهة لمدينة قشتالة، تحتل موقعا إستراتيجيا، فهي تشغل سطح أو هضبة واسعة على قمة ربوة مائلة صعبة وشاقة البلوغ على الضفة اليسرى للنهر على ارتفاع 1202م" (بالباس، 2003، صفحة 97).

- **بطليوس:** وفي الجوف من هذه المدينة بنحو عشرين فرسخاً، مدينة بطليوس، وهي على النهر الأعظم المسمى "وادي يانة" المنبعث من محصر الريح، بالوضع المسمى بالغدر أو الغدور، وهذا النهر لا يعرف له أحداً أصلاً ولا مخرجاً غير أنه يندفع من الغور ويغيب في موضع ويجري في آخر متصلاً إلى مدينة قلعة رباح، ثم يهبط حتى ينتهي إلى مدينة بطليوس، ثم ينتهي إلى حصن مربل، على مقربة من البحر الأعظم فيقع فيه.

- **سرقسطة:** وهي على النهر الأعظم المسمى بوادي أَبُرَه. وهذا النهر ينبعث من جبال البُرتات إلى مدينة تُطيلة". ثم يهبط هذا النهر إلى مكناسة، وهنا يقع في وادي لاردة، وهذا النهر يوجد فيه الذهب كثيراً ثم يهبط هذا النهر مع نهر أَبُرَه من مكناسة إلى طرطوشة حتى يندفع في البحر على عشرة فراسخ، وهو عذب لقوة انجراره. وطرطوشة، مدينة كثيرة الثمار والفواكه. وهي خلف هذا النهر مما يلي جبل أَطْرِيجَرْش. وطول هذا النهر من جبل أَنْبَرَة إلى أن يقع في البحر خمسة عشر يوماً، يتعاطى الناس عليه السّراج مسيرة مائة ميل. وكذلك يتعاطون السّراج عليه من حصن أفليس إلى "مدينة طرطوشة وهي على ضفته" (الزهري، د ت، الصفحات 136 - 137).

والجدير بالذكر أن وفرة الأنهار بالثغر الأعلى، ساعدت على إقامة المدن الحربية حول مصبات الأنهار، منها مدينة لاردة على حافة نهر السيجري (الزهري، د ت، صفحة 82)، ومدينة تطيلة على حافة نهر نهر إيبرو (بالباس، 2003، صفحة 75)؛ فكانت مناعتها وحصانتها مستمدة من موقعها الإستراتيجي.

وهكذا يتضح أن بناء هذه المدن كان على مواقع طبيعية صعبة، يُسهِل المراقبة ويُصعِب مهمة العدو المهاجم، ويُيسِر مهمة المقيم دفاعا وصمودا (مصطفى، 1992، صفحة 65)؛ ولا

يتطلب إلا الجهد اليسير من الدفاع خاصة إذا كانت هناك قيادة عسكرية محكمة، عارفة بأسس وقوانين النظم العسكرية الخاصة بنظام الثغور.

3. التوسع تبعا للأحواض النهرية:

شكلت نقاط الماء محطات ذات بعد عسكري استراتيجي بالنسبة للجند خلال المعارك البعيدة، وهو ما استوجب التحديد الدقيق للطرق والمسالك التي تعبرها الجيوش للاستراحة والتزود بالمياه، لذلك كان طبيعيا ان تقترن المعارك بذكر الأنهار والعيون والحامات والآبار حيث تنزل الجيوش (حمادة، 2013، صفحة 165).

وتعد مياه الأنهار من المستلزمات الواجب توفرها للجيوش أثناء المسير، وهذا ما أكد عليه الهرثمي بقوله"أن تسند ظهور أصحابك الى الأنهار.." (الهرثمي، د ت، صفحة 31). لذلك كان من الأولويات التي إتخذها القادة المسلمون خلال عمليات الفتح، هو المسير بمحاذاة الأنهار.

ما من شك أنه باتباع مسار الغزو الذي قام به المسلمون ابتداءً من جنوب شبه الجزيرة، نستطيع أن نتحقق أنهم سيطروا بسرعة قصوى على جل تراب شبه الجزيرة الإيبيرية. وبعد ثلاث سنوات من وصولهم، كانوا قد أخضعوا لسيطرتهم تقريباً كل البلد، باستثناء منطقة جبلية صغيرة في الأراضي الأشتورية، الكنتابرية، والباسكية (جاه، 2015، صفحة 27)، ويؤكد ذلك حينما اتبعوا مجرى "إيناريس" Aenares، وصل المسلمون، تحت قيادة القائدين العسكريين، طارق وموسى بن نصير، إلى وادي الإيبرو ELebro، إلى نابارا NAVARRA، وآلبا ALva والسهل الشمالي. وباتجاه مجرى "التّاج"، وصلوا إلى لشبونة، وفي بعض الأجزاء، عن طريق الساحل أو الجانب الداخلي للساحل الشرقي، ووصلوا إلى غاية كتالونيا cataluña. (جاه، 2015، صفحة 27)

ويمكننا أن نلاحظ أنهم استثمروا هذه الموانع المائية لصالح خططهم الحربية، فبعدما تمكنوا من فتح مدينة سرقسطة 94هـ/ 814م (Provencal، 1953)توجهت أنظارهم الى الشمال الأسباني (جاه، 2015، صفحة 30) وسار الجيش الإسلامي بإتجاهين، الأول كان بقيادة طارق بن زياد، الذي سار محاذيا للضفة اليسرى لنهر إبرة، والثاني بقيادة موسى بن نصير، وكان محاذيا للضفة اليمنى لهذا النهر (الحجي، 1981، صفحة 101)

واستطاع المسلمون من خلال هذا المسير إخضاع المدن الأندلسية ومنها، طركونة، وبرشلونة، ووشقة ولاردة ويمكننا القول'، إن اختيار القادة لهذه الطرق لم يكن عفويا. بل كان عن تخطيط مسبق، فلا شك أن المقاتلين بحاجة الى المياه الصالحة للشرب وهذا ما نلمسه من خلال إستعذاب موسى بن نصير لمياه رافد جلق، الذي يصب في نهر إبرة، لذلك لم يتردد هذا القائد من الاستفادة من مياهه العذبة والشرب منها (المقري، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، 1968، صفحة 150).

وهنالك عوامل أخر ى دفعت المسلمين إلى السير بمحاذاة الأنهار أثناء عمليات الفتح، فعندما عزم عنبسة بن سحيم على استكمال فتح بلاد غالة، سار من مدينة نيم (أرسلان، 1933، صفحة 107) متبعا مجرى نهر الرون، كونه طريق آمن خالي من أي مقاومة، فصعد النهر حتى أدرك نهر الساؤون، وبذلك تمكن هذا الوالي من التوغل في إقليم برجندية (سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، 1981، صفحة 138).

ومن أجل التقدم في اتجاه تور جعل عبد الرحمن الغافقي من "بنبلونة" قاعدة له، وحشر فيها قواته وذلك في صيف 114هـ/ 732م، ثم اخترق بقواته سلسلة جبال البُرتات من منطقة (باب - شزروا) ممرات رونسيسفال، ثم توجه إلى بُرْدِيل (بوردو) على نهر الجارون، وذلك قبل التقاء الغارون بنهر(دوردونيا) في منطقة غير بعيدة عن مصبه، وهناك التقى (بدوق أكيتانيا) أودو حيث دارت معركة قصيرة وحاسمة انتصر فيها عبد الرحمن الغافقي على خصمه، ودخل مدينة بوردو، بعد ذلك، نهبها جنده وحصلوا على غنائم كبيرة أثقلت الجيش وأخذت تعيق تحركه وأفقدته مرونته (العسلي، 1988، صفحة 330)... ".

وهكذا، أفادتهم مجاري أنهار شبه الجزيرة التي كانوا يجدونها في طريقهم، للتقدم على طول ضفافها، والتزود بما يكفي من الماء للجنود والجياد. وبهذا الشكل، انطلاقاً من الجنوب، باب دخولهم، سرعان ما انتقلوا عبر الأحواض النهرية، عبر كل أنحاء شبه الجزيرة (جاه، 2015، صفحة 30).

ويتضح مما سبق أنه رغم أن الفكرة السائدة عن الأنهار أنها تشكل عوائق، إلا أن الجيوش الإسلامية بالأندلس قد استخدمت تلك الأنهار كطرق رئيسية في غزوها.

4. عبور الموانع المائية:

تعد الموانع المائية من أهم العوائق التي تجابه الجيوش في تقدمها وهجومها لقد أظهرت الوقائع أهمية المانع وخصوصاً المانع المائي فكل من يحصر بين جيش ومانع يندحر، لذلك يجب تقدير أهمية المانع قبل الإقدام عليه أو اتخاذ أي قرار سواء بالعبور إليه أو بالدفاع عنه أو إسناد الجناح إليه أو اتخاذه خطا للحركات أو خطا للمواصلات، فإن كان المانع عميقاً قليل العرض فإنه ليس كما لو كان عميقاً كبير العرض. وإذا كان المانع عريضاً ولكن عمقه قليل فهو عبارة عن مخاضة ولا يعد مانعاً في تلك الظروف (فالح، 1997، صفحة 36 37).

فعلى سبيل المثال، واجه المسلمون بعض المعوقات أثناء فتحهم المدن الأندلسية، لكن هذه المعوقات لم تصمد كثيرا مام حنكة وذكاء قادة الفتح، فعندها عزم مغيث الرومي على اقتحام قرطبة، كانت القنطرة التي توصل لهذه المدينة مهدمة، لذلك فكر مغيث بطريقة أخرى، يستطيع من خلالها عبور النهر، فأمر الجيش بالسباحة والعبور الى ضفة النهر، وبالفعل أستطاع المسلمون العبور الى الضفة اليمنى من النهر، ودخول المدينة عنوة (مجهول، 1989، صفحة 261) وذكر ابن عذاري أن أسباب هدم القنطرة كانت أسباب طبيعية، نتيجة حالة المد التي تعرض لها النهر (ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 1983، صفحة 26).

كما واجه موسى بن نصير صعوبات في فتح مدينة إشبيلية، والسبب في ذلك وجود النهر الأعظم، الواقع على ضفتها اليمنى مما جعلها أكثر حصانة وثباتا أمام هجمات المسلمين لذلك فرض موسى الحصار عليها عدة أشهر، مما أدى الى هلاك أهلها، الذين سمحوا للمسلمين دخول المدينة دون مقاومة (المقري، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، 1968، صفحة 269).

يتضح من خلال الاجراءات التي اتخذها هذا القائد، مدى وعيه العسكري في الحفاظ على المدن المحررة، فقد استغل الحصانة الطبيعية لمدينة إشبيلية، واتخذها قاعدة عسكرية تحمي المسلمين من أي هجمات.

ويشير صاحب أخبار مجموعة أن موسى بن نصير تمكن من فتح إشبيلية، "... وهي أعظم مدائن الأندلس شأناً وخطباً، وأعجبها بنياناً وأثاراً، وقد كانت على نهر عظيم لا يخاض

فأتاها موسى بن نصير حتى حاصرها شهراً، ثم إن الله فتحها، وهرب العلوج إلى مدينة باجة ..." (مجهول، 1989، الصفحات 25-27).

ويذهب أحد الباحثين (شرف، 1992، صفحة 142) أن موقع إشبيلية يساعد حماتها على الوقوف أمام هجمات الزاحفين، إذ أن نهر الوادي الكبير – وهو على ضفته اليمنى- يساعد في منعتها وتحصينها، فاستعصت على موسى عدة أشهر، فحاصرها حصارا محكما، ولما أثّر في سكانها الجوع من شدة الحصار قام هؤلاء السكان في الليل وغافلوا حراسها القوط وفتحوا الأبواب للغزاة، فدخلها موسى دخول الظافرين، وهرب القوط نحو مدينة باجه، واعتصموا بداخلها، ومنها راحوا يرقبون سير التيار.

ومما يلاحظ أن السيطرة على مدينة إشبيلية لم يكن بالأمر السهل وذلك لمنعتها وتحصينها، فموقعها على نهر الوادي الكبير (الإدريسي، 2006، صفحة 561) ساعد حاميتها على التصدي للمهاجمين والصمود في وجههم، لكن الله فتحها للمسلمين بعد حصار استمر عدة أشهر.

كما أنه لا يستبعد أن عملية الحصار للمدينة (اشبيلية) شمل المؤونة والماء مما تسبب في مجاعة سكانها الأمر الذي دفعهم إلى فتح المدينة للمسلمين.

ويرجع أحد الباحثين أسباب هزيمة المسلمين، ومقتل السمح بن مالك، أثناء محاولته فتح مدينة تولوزة، سنة 102هـ/ 721م، إلى أسباب طبيعية، فالمدينة واقعة على هضبة، تطل على نهر الجارون من ضفته اليمنى، حيث يجري النهر في وادي عميق لا يسهل عبوره، مما فسح المجال أمام سكانها بالدفاع عنها (عباس، 2016، صفحة 106).

ومن الشواهد التاريخية الدالة على صعوبة الموانع المائية ما أورده المقري حيث ذكر أن الحَكَمُ بن هشام وجه جيشاً كبيراً سنة 200هـ/815م بقيادة عبد الكريم بن مغيث واتجه شمالاً حتى وصل نهر الرون (oron) وانطلقت قوات المسلمين في وادي الرون تدميراً للقلاع وإبادة للمقاومات ودارت معارك طاحنة حقق فيها المسلمون انتصارات رائعة وأرغموا قوات الافرنج على البقاء عند الضفة الأخرى من نهر الرون. وعندما وضع عبد الكريم مخطط للعبور ولقاء قوات عدوه عند الطرف الآخر من النهر هطلت الأمطار الغزيرة وتدفقت السيول مما جعل عملية العبور مستحيلة، فاضطر عبد الكريم بن مغيث إلى

الانسحاب بعد معارك ضارية استمرت طوال ثلاثة عشر يوماً تكبّد فيها (الإفرنج) خسائر كبيرة في الأرواح والممتلكات ورجع عبد الكريم بجيشه وهو مثقل بالغنائم. (ابن خلدون، 1981، صفحة 163) (المقري، 1968، صفحة 340)

وتشير الروايات بأن الجيش الإسباني ملأ النهر بالعوائق كالأخشاب كي يمنعوا المسلمين من اجتيازه، كما صنعوا عوائق أخرى كحفر الخنادق مثلاً، فاكتفى القائد عبد الكريم ابن عبد الواحد بما حققه ورجع بالمسلمين إلى الجنوب (ابن الأثير، 1987، صفحة 75).

كما نلاحظ في سنة 364هـ/974م تقدمت قوات كبرى من دولتي "ليون و نافار الجلالقة و البشكنس" إلى حصن غرماج - ثغر مدينة سالم - فأظهرت الحامية المدافعة عند إرادة صلبة في الدفاع عن الحصن ،عند ذلك قام الحكم المستنصر بتوجيه قوات الدعم واعداد الصائفة للتحرك وعيّن الوزير - القائد الأعلى - أبا تمام غالب بن عبد الرحمن لقيادة الصائفة، وصلت قوات المسلمين الى الشمال (جنوب حصن غرماج) وأصبح نهر دويرة حاجزا بين قوات المسلمين وقوات خصومهم المحاصرين للحصن، كانت قوات الشمال قد أقامت الحواجز والتحصينات في المناطق الصالحة للعبور من نهر دويرة، ودفعت نقاط الحراسة ومخافر المراقبة الى حافة النهر... في حين كانت الحشود الكثيفة تحيط بحصن غرماج وتحدق به

قام القائد الأعلى بجولة استطلاعية وتبين له صعوبة العبور أو الدخول في معركة تصادمية مع قوات الخصم فقرر التوقف عند جنوب نهر دويرة في موقع مقابل لقوات الشمال ولحصن غرماج (العسلي، 1988، الصفحات 513-514).

خلال مرحلة التوقف حدثت بعض الاشتباكات الثانوية بين وحدات حراسة النهر "الحافظين للمخائض" وقد حاول جند الشمال العبور الى الجنوب والاغارة على جيش المسلمين بصورة مباغتة فتصدت لهم مفارز صغيرة من المسلمين وحدثت معارك قاسية، الأمر الذي جعل القائد الأعلى يقتحم المعركة وينجح في إبادة العدد الأكبر من قوات العدو التي قامت بالعبور حتى بلغ عدد القوامس -الكونت- الذين سقطوا فوق أرض المعركة (20 كونتاً) (العسلي، 1988، صفحة 517).

ومن الشواهد التاريخية كذلك الدّالة على صعوبة الموانع المائية ما لقيه الحاجب المنصور حينما اقتحم عام 387 هـ / 997 م شنت ياقب (الحميري، 1980، صفحة 348) عاصمة "جيليقية، آخر معقل للنصارى في شمال غرب الأندلس وكانت منطقة وعرة وتعد من أخطر المناطق الأندلسية، لذلك قرر أن يقتحم هذه المنطقة الصعبة، فوجود عشرات الأنهر ما بين عاصمته قرطبة وبين شانت ياقب (ابن الخطيب، 1424هـ / 2003م، صفحة 67) تجعل العبور بالغ الصعوبة، بالإضافة إلى سلاسل الجبال الوعرة. يقول ابن عذارى: "... وقطع بالعبور أنهار كبار وخلجان، ثم أفضى العسكر بعد ذلك إلى بسائط جليلة، ثم أجاز المسلمون بعد هذا خليج لورقي في معبرين أرشد الأدلاء إليهما ... وكان النزول بعده على مدينة شنت ياقب البائسة ... فوجدها المسلمون خالية، فحاز المسلمون غنائمها وهدموا مصانعها وأسوارها... (ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 1983، صفحة 295).

ويتضح مما سبق أنّ غزوة شنت ياقب تعد من أهم وأبرز غزوات المنصور بن أبي عامر، لأنه وصل إلى مكان لم يصل إليه أحد من ملوك الإسلام قبله، وذلك لصعوبة مدخلها وخشونة مكانها ووعورة أرضها، وبعد شقتها.

وحدث أيضاً عندما خرج عبد الرحمن بن منصور إلى الغزو في سنة 399هـ / يناير 1009م أي في أعماق الشتاء، وسار الجيش صوب طليطلة في طريقه إلى جليقية والأمطار تنهمر والبرد يهرأ الأجسام، ثم اخترق حدود مملكة ليون، ودخل جليقية. ولكن ملك ليون ألفونسو الخامس تحصّن بقواته في رؤوس الجبال، ولم يتقدم لقتال المسلمين، ولم يجد عبد الرحمن سبيلاً لقتاله لفيضان الأنهار وكثرة الثلوج، فقرر العودة بجيشه (عنان، 1997، صفحة 629).

كما تعد الأجواء الشتوية أفضل فترات الحرب لإعداد الكمائن لأن الأمطار تحجب الرؤية، كما أنها لم تكن سبباً وجيها في خسائر الجيوش وضعفهم وإعاقتهم بل كانت في بعض الأحيان سبباً لانتصاراتهم، فلا يخفى على أي متتبع لاستراتيجيات الحرب، ذكاء القادة وحنكتهم العسكرية في استغلال فترات الأمطار والبرد في نصب الكمائن والتسلل خفية تحت وقع الأمطار والرياح للانقضاض على الأعداء والتمكن منهم، منها ما أظهره جند طارق بن زياد حين أرسل مغيثاً الرومي إلى قرطبة في سبعمائة فارس، وعندما بلغ قرية شقندة كمن في

شجر أرز كثيف على ضفة النهر، ... وفي الليل سار مغيث بمن معه، فعبروا النهر، وتسلقوا السور على حين غفلة من الحراس الذين اختبئوا هرباً من البرد والمطر، وفتحوا الأبواب ليقتحم المسلمون المدينة ويستولوا عليها عنوة. (مجهول، 1989، صفحة 20) (ابن الأثير، 1987، صفحة 269) (ابن عذارى، 2013، الصفحات 261 - 262)

خاتمة:

نخلص من خلال هذه الورقة البحثية إلى النتائج الآتية:

_ أدرك قادة الجيوش الإسلامية أهمية الأنهار من الناحية العسكرية إذ لعبت دوراً حاسماً في العمليات العسكرية بالأندلس في الفترة المعنية بالدراسة.

-اعتبرت الأنهار كموانع طبيعية من الدرجة الأولى تقف في وجه القوات المهاجمة وتسهم في توفير حصانة للمدن المحيطة بها.

-ساعد ت وفرة الأنهار بالأندلس قادة الحملات العسكرية على إقامة المدن الحربية حول مصبات الأنهار، وقد أفادتهم مجاري أنهار شبه الجزيرة الإيبيرية التي كانوا يجدونها في طريقهم، للتقدم على طول ضفافها.

--يتبين البعد الاستراتيجي للأودية والأنهار بالنسبة للجيش الأندلسي في جعل ضفافهما مسرحا للمواجهات العسكرية وخاصة في محطات توقفه، وفي محطات نزوله ويتأكد ذلك من خلال جرد وإحصاء المعارك التي ارتبط اسمها بالأنهار أو بالقرب منها.

-تعددت أوجه توظيف مياه الأنهار والاستفادة منها بقدر الحاجة إليها خاصة في العمليات العسكرية.

- أسست القوات الأندلسية إدراكا منها لأهمية مياه الأنهار في المجال الحربي خططها على أساس التحكم والسيطرة عليها وتوظيف المجاري المائية كموانع طبيعية يصعب اجتيازها.

قائمة المراجع:

ابن الأبار. (1963). *الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، ط1، ج2*. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر.

ابن الأثير. (1987). *الكامل في التاريخ* (الإصدار ط 1، المجلد ج 4). (تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، المترجمون) بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

ابن الأثير. (1987). *الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، ط1، ج5*. لبنان: دار الكتب العلمية.

ابن الأزرق. (2008). *بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق: علي سامي النشار*. القاهرة: دار السلام.

ابن الخطيب. (1424هـ / 2003م). *أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام* (الإصدار ط 1). (تحقيق: سيد كسروي حسن، المترجمون) بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن القوطية. (1989). *تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري ط 2، ج2، .* بيروت: دار الكتاب اللبناني.

ابن الكردبوس. (1971). *تاريخ الأندلس، تحقيق: أحمد مختار العبادي*. إسبانيا: معهد الدراسات الإسلامية.

ابن حوقل. (1992). *صورة الأرض*. لبنان: منشورات دار مكتبة الحياة.

ابن حيان. (1965). *المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي*. بيروت: دار الثقافة.

ابن خلدون. (1981). *العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر* (الإصدار ط 1، المجلد ج 4). (مراجعة: سهيل زكار وآخرون، المترجمون) بيروت، لبنان: دار الفكر.

ابن خلدون. (2005). *مقدمة ابن خلدون، ضبط وشرح وتقديم محمد الإسكندراني*. بيروت: دار الكتاب العربي.

ابن عبد ربه. (1983). *العقد الفريد* (الإصدار ط 1، المجلد ج 3). (تحقيق: محمد مفيد قميحة، المترجمون) بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن عذارى. (1983). *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب* (الإصدار ط 3). (تحقيق: كولان، ليفي بروفنسال، المترجمون) بيروت: دار الثقافة.

ابن عذارى. (1983). *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب* (الإصدار ط 3، المجلد ج 2). (تحقيق: ج.س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، المترجمون) بيروت: دار الثقافة.

ابن عذارى. (2013). *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب* (الإصدار ط 1، المجلد ج 1). (تح: باشر عواد معروف وآخرون، المترجمون) تونس: دار الغرب الإسلامي.

ابن عذارى. (د ت). *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: إحسان عباس، ط 3، ج3*. بيروت: دار الثقافة.

ابن كثير. (1997). *البداية والنهاية* (الإصدار ط 1، المجلد ج 10). (تحقيق: عبد الله بن عبد محسن التركي، المترجمون) السعودية: دار هجر - مركز البحوث والدراسات العربية الإسلامية.

أبو بكر الطرطوشي. (1994). *سراج الملوك* (الإصدار ط 1). (تحقيق: محمد فتحي أبو بكر، المترجمون) بيروت: الدار المصرية اللبنانية.

أحمد مختار العبادي. (1972). *في التاريخ العباسي والأندلسي*. بيروت: دار النهضة العربية.

أحمد مختار العبادي. (د ت). *في تاريخ المغرب والأندلس*. بيروت: دار النهضة العربية.

أرسلان. (1933). *تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزائر البحر المتوسط*. بيروت: دار النهضة العلمية.

الإدريسي. (2006). *نزهة المشتاق في اختراق الأفاق*. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

البكري. (1968). *جغرافية الأندلس وأوروبا* (الإصدار ط 1). (تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، المترجمون) بيروت: دار الإرشاد للطباعة والنشر.

الحجي. (1981). *التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة (92-897هـ / 711-1492م)*. بيروت: دار القلم.

الحموي. (1995). معجم *البلدان*. لبنان: دار صادر.

الحميري. (1980). *الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس*. بيروت: مؤسسة ناصر للثقافة.

الحين بن عبد الله العباسي. (1989). *آثار الأول في ترتيب الدول* (الإصدار ط 1). (تحقيق: عبد الرحمن عميرة، المترجمون) بيروت: دار الجيل.

الزهري. (د ت). *كتاب الجغرافية*. (تحقيق: محمد الحاج صادق، المترجمون) القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

الشكعة مصطفى. (1992). *الأسس الإسلامية في فكر ابن خلدون ونظرياته*. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.

الطبري. (1967). *تاريخ الرسل والملوك* (الإصدار ط 2، المجلد ج 3). (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المترجمون) مصر: دار المعارف.

المقري. (1419هـ / 1998م). *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب* (الإصدار ط 1، المجلد ج 1). (تحقيق: يوسف الشيخ البقاعي، المترجمون) بيروت: دار الفكر.

المقري. (1968). *نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب* (المجلد ج 1). (تح: إحسان عباس، المترجمون) بيروت: دار صادر.

النويري. (1976). *نهاية الأرب في فنون الأدب* (المجلد ج 1). مصر: المؤسسة المصرية العامة.

الهرثمي. (د ت). *مختصر سياسة الحروب*. (تحقيق: عبد الرؤوف عون، المترجمون) القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف.

بسام العسلي. (1988). *فن الحرب الإسلامي-عمليات الجهة الغربية*. لبنان: دار الفكر.

بسام العسلي. (1988). *فن الحرب الإسلامي-عمليات الجهة الغربية*. لبنان: دار الفكر.

جاسم ياسين الدرويش، زينب حمزة عباس. (2016). أثر المياه في فتح بلاد المغرب والأندلس، ، جامعة بابل، مج 24، عدد 4، 2016. *مجلة العلوم الإنسانية، 24*(04)، 106.

خالد الصوفي. (د ت). *تاريخ العرب في الأندلس الفتح وعصر الولاة 92-138هـ / 711-756م، ط1*. ليبيا: منشورات جامعة قاريونس.

خميسي بولعراس. (2018). *النخب العسكرية بالغرب الإسلامي "قراءة في التنظير والاحتراف"*. الجزائر: النشر الجامعي الجديد.

سعيد بن حمادة. (2013). *الغرب الإسلامي "مباحث في العلوم التجريبية*. القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع.

سمير ذياب. (2012). *الجغرافيا العسكرية* (الإصدار ط 1). الأردن: الجنادرية للنشر والتوزيع.

شريف عبد الرحمن جاه. (2015). *لغز الماء في الأندلس، ترجمة زينب بنياية*. الإمارات: مركز أبو ظبي.

عبد الرحمن الشيرازي. (2002). *النهج المسلوك في سياسة الملوك*. (تحقيق: محمد حسن وآخرون، المترجمون) بيروت: دار الكتب العلمية.

عبد الرؤوف قصي فالح. (1997). *الهندسة العسكرية في الفتوحات الإسلامية*. بغداد: دار الشؤون الثقافية.

عبد العزيز سالم. (1981). *تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس*. بيروت: دار النهضة العربية.

عبد العزيز سالم. (1981). *تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس*. بيروت: دار النهضة العربية.

عبد العزيز سالم. (1985). *في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس*. مصر: مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية.

عبد المنعم الخفاجي، عبد العزيز شرف. (1992). *معارك فاصلة في التاريخ الإسلامي*. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.

علي المياح. (1969). العوامل السوقية والتعبوية وأثرها على الفتوحات العربية الإسلامية في فرنسا. *مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، م 5*، 102 - 103.

فتحي زغروت. (2005). *حركة الجيوش الإسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين* (الإصدار ط 1). القاهرة: الدار الإسلامية للتوزيع والنشر.

فيعة علي أحمد الحبسي. (2017/2016). أثر الماء في المعارك الإسلامية الفاصلة (2-132هـ / 624-750م)، رسالة ماجستير. جامعة الشارقة.

قصي فالح عبد الرؤوف. (1997). *الهندسة العسكرية في الفتوحات الإسلامية (11-132هـ/ 632-749م)*. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

ليوبولدو تورّس بالباس. (2003). *المدن الإسبانية الإسلامية، ترجمة: إليو دورو دي لابنيا*. السعودية: مركز الملك فيصل لبحوث والدراسات الإسلامية.

مجهول. (1983). *ذكر بلاد الأندلس، تحقيق وترجمة: لويس مولينا، ج1*. إسبانيا: المجلس الأعلى للأبحاث العلمية.

مجهول. (1989). *أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم* (الإصدار ط 2). (تحقيق: إبراهيم الأبياري، المترجمون) القاهرة - بيروت: دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني.

مجهول. (2013). *جغرافية وتاريخ الأندلس*. (تحقيق: عبد القادر بوباية، المترجمون) الجزائر: مؤسسة البلاغ للنشر والدراسات.

محمد بشير حسن راضي العامري. (2014). *تاريخ بلد الأندلس في العصر الإسلامي، ط1*. بيروت: دار الكتب العلمية.

محمد عبد الستار عثمان. (1978). *المدينة الإسلامية*. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

محمد عبد الله عنان. (1997). *دولة الإسلام في الأندلس "من الفتح إلى بداية عهد الناصر"، ط 4*. القاهرة: مكتبة الخانجي.

مؤلف مجهول. (1989). *أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بها، تح: إبراهيم الأبياري، ط2*. بيروت: دار الكتاب اللبناني.

مؤلف مجهول. (2007). *فتح الأندلس، تح: تحقيق عبد القادر بوباية، ط1*. بيروت: دار الكتب العلمية.

مؤنس حسين. (2008). *فجر الأندلس، ط 4*. القاهرة: دار الرشاد.

وردة العابد. (2008/2007). القيادة العسكرية في الثغرين الأدنى والأعلى بالأندلس في القرن الخامس هجري حتى الربع الأول من القرن السادس الهجري (ق 11-12م)، رسالة ماجستير. جامعة قسنطينة.

ياسر سلامة أبو طعمة. (2015). *تاريخ مدينة طليطلة (TOLEDO)، ط1*. الأردن: دار الحامد للنشر والتوزيع.

ياسين سويد. (2010). *الفن العسكري الإسلامي أصوله ومصادره، ط3*. بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.

Levy Provencal .(1953) .la description de l'Espagne d'Ahmed Al razi . *Andalus*.78 ،*18* ،

Manuel J. Parodi Álvarez .(2011) .EL GUADALQUIVIR: PUERTA Y ENTRADA DE CIVILIZACIONES .*El Río GUADALQUIVIR- Del mar a la marisma- SANLÚCAR DE BARRAMEDA*.109 ،*2* ،